التحالفات السياسية والتجارية لقريش قبل الاسلام

اعداد
د / حسناء محمود محمد الدمرداش
مدرس التاريخ والحضارة الاسلامية
كلية الاثار جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

مقدمة :
لعبت التجارة دورا مهما في حياة العرب قبل الاسلام اقتصاديا وسياسيا بل وعلي المستوي الاجتماعي والثقافي وكانت مكة اهم هذه المراكز التجارية جميعا وقريش بلاشك رائدة هذه التجارة التي لم تكتفي بالطابع المحلي بل تعدت الي اتخاذ طابع دولي جديد له سماته من خلال الاحلاف السياسية والتكتلات الاقتصادية التي عرفت بالمحالفات حينا وبالايلاف حينا اخر واتاح لقريش ومكة مكانة ما فوقها مكانة في التجارة وسعة الرزق وبحبوحة العيش رزقا وفيرا انعمه الله عليهم وذكره في كتابه الكريم فكان حري بنا ان نتتبع هذا الاثر بالدراسة والتنقيب.

معني الحلف:

الحلف لغةً مأخوذ من الحِلف الواحدة حِلفة والحلف في الإصطلاح يعني المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، والحلف العهد. وقد وردت عند العرب قبل الاسلام وبعده عدة الفاظ ومرادفات تعني المعاهدة ونذكر منها. الايلاف، الامان، الذمة، الحبل، الجوار، الوصل، الرَّبابة، العهد، الميثاق . ونجد في تاريخ العرب قبل الاسلام لفظة (الحليفان) للدلالة على تحالف قبيلتين، أو (الاحلاف) تعبيراً عن حلف عقد بين قبيلتين أو أكثر، وقد قصد بها أحلاف عديدة ، ولا تقتصر التحالفات على القبائل بل قد تعقد بين الحكومات.(1)

قريش:

يري البعض ان الاسم مشتق بمعني التجمع وفي هذا الصدد قال: "إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها من بعد تفرقها" ، وقيل: أصل الكلمة جاءت من الترقح أي التجارة والإكتساب، وتارة تعني التفتيش عن حاجة المحتاج وسد خلته. وقيل إن هذا اللفظ مأخوذ من تصغير القرش، وهو حوت في البحر يأكل حيتان البحر.والتقرش هنا التجمع، يقال: التجار يتقارشون يتجرون ، وعند ابن منظور يقول: "قرش قرشاً جمع... وقرش يقرش قرشاً وبه سميت قريش وتقرش القوم تجمعوا". (2)

و ظهر خلاف حول الشخص الذي ارتبط به ظهور هذا الإسم، ونسب علماء اللغة والأنساب والمؤرخون ارتباط هذا الإسم بعدة اشخاص(3):

فراي قائل: إن قريشاً هم ولد النضر بن كنانة فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، فكان أول من سميّ القرشيّ، لأرتفاع همته، وقيل لتجارته وتكسبه(4).

وراي يقول: أن قريش هو قصي بن كلاب لأن قصي كان يجمعها فسمي مجمعاً، وفي هذا الصدد قال الأزرقي: "ويقال أنه من أجل تجمع قريش إلى قصي سميت قريش قريشاً... ويقال كان يقال لقصي القريشي ولم يسمى قريشي قبله."(5)

وراي ثالث: نسب قريش لفهر بن مالك فمن كان من ولده فهو قريشي ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي، ويؤيد ابن هشام إن فهر لقب انسحب الإسم على القبيلة التي إنحدرت منه. (6)

وثمة راي: يفيد أن قريش نسبت لقريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، لأن عير بني النضر كانت إذا قدمت، قالت العرب: قد جاءت عير قريش، وكان قريش دليل النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم، وكان دليل قومه قبل الإسلام في متاجرهم. (7)

أولاً: سياسة التحالفات بين قريش و الدول المجاورة

الإيلاف:

عرف علماء اللغة والاصطلاح الإيلاف علي انه يعني بان الايلاف يعني امان الناس عند ورودهم بارض غيرهم بغير حلف، وياتي ايضا بمعنى الدأب، وعلل اخرون الاسم بانه يعني العصم، علي حين رجح بعضهم انه الحبال والعهود وربما يعني العهد والذمام وانه الإجارة، ووردت له عدة معاني منها ماجاء بمعنى الالف وهي مشتقة من الألف، حيث المصدر والفعل المطلق والاشتقاق ألفت الشيء إلفاً، وألفته إيلافاً، في معنى واحد والإيلاف يعني أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، (8).

ذكر الله سبحانه وتعالي الايلاف في سورة قريش حيث يقول جل شانه: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ~إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ~فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ~الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ~ }،(9).

وقد اختلفت القراءات في قرائتها ومنهم من قرأها بهمزتين مخففتين بكسر الأولى وتسكين الثانية على وزن (ليعلاف) ومنهم من قرأها (لالاف) بغير ياء بعد الهمزة، ، ومنهم من قرأها بياء ساكنة من غير همزة (ليلاف) ، وبعض المفسرين راي إن الصواب في القراءة لأيلاف قريش إيلافهم باثبات الياء فيهما بعد الهمزة من ألفت الشيء ألفه إيلافاً لإجماع الحجة من القراءة عليه وللعرب في ذلك لغتان: ألفت، وآلفت، وتعني المؤالفة.(10)

وبرر المفسرون في سياق التفسير باسباب النزول إن سبب نزول هذه الآية أن قريشاً كانت قد تعودت رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن والأخرى في الصيف إلى الشام، فمكثوا بذلك حتى اشتد عليهم الجهد وأخصب تبالة وجرش وأهل ساحل البحر من اليمن فحمل أهل الساحل في البحر وحمل أهل البر على الإبل فأرفأأهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب فامتار أهل مكة ما شاؤا وكفاهم الله الرحلتين اللتين كانوا يرحلون إلى اليمن والشام.(11)

كانت معظم قريشاً تجاراً وكانت تجاراتهم لا تعدوا مكة وان هاشما بن عبد مناف هو أول من خرج من قريش خارج مكة وينسب اليه المؤرخون الايلاف عقدا وتاسيسا له ولاخوته مكانة وعملا بين ملوك الدول المختلفة؛ ، وكان التجار الاجانب يفدون علي مكة يحملون متاجر الفرس والهند والصين فيشترون منهم ثم يتبايعونه من حولهم من العرب، ويجتنون ثمار هذا كله حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فانتقل الخير والبركة كلها ومغانم التجارة لقريش والعرب من بعدها.(12)

ويروي ابن عباس في رواية مشهورة " والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لهم العيرات لهاشم والله ما شدت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ولا أناخت بعيراً لحضر إلا بهاشم، وكانت قريش قبله تجاراً لا تعدوا تجارتهم مكة ". (13)

وذكر أن قريشاً اصابها القحط والجوع وافقرت جراء ذلك لسنوات ، فخرج هاشم إلى الشام فنزل بقيصر فأمر بخبز كثير فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز وذبح تلك الإبل ثم طبخها وألقى تلك القدور على ذلك الخبز فأطعم أهل مكة وأشبعهم فاطلق عليه هاشما لهشمه الثريد لقومه. (14)

فلما علم قيصر بفعلته استدعاه، فلما كلمه استعظمه واستطاب مجلسه ورغب ان يكون من مجلسه وندمائه وكان يرسل إليه فيدخل عليه، فاستثمر هاشم الفرصة وطلب الرخصة له ولقومه بالتجارة والامنة في الغدوة والروحة قائلا: أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤّمنهم وتؤّمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أُدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم فاعطاه القيصر كتاباً بأمان من أتى منهم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً. فهذا العهد هو أول عهد استطاع بموجبه هاشم الخروج بالتجارة وفق معاهدات موثقة تعد الاولي من نوعها في تاريخ مكة بل والعرب باسرها.(15)

شملت المعاهدات التجارية أخوة هاشم الثلاثة وهم (المطلب، وعبد شمس، ونوفل)، فقد كان لهؤلاء الأخوة دور هام في عقد الأحلاف التالية:

1 ـ توجه المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ونال من ملوكهم مثل ما نال هاشم من قيصر وهو عهدا لمن تجر إليهم من قريش، ثم ما انفك عائدا يعقد الإيلاف مع من مر به من قبائل العرب اليمانية والقحطانية الواقعة علي الطريق بين اليمن ومكة وقفل راجعا مكللا بالغنيمة في الاياب.(16)

2 ـ اما اخوهم عبد شمس بن عبد مناف فكانت وجهته إلى ملك الحبشة لسابق ود ومعرفة قديمة له ببعض تجار من الاحباش كانوا يفدون علي مكة لم يكن حظه بها باقل من اخويه فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش، ثم أخذ الإيلاف من القبائل العربية والحبشية علي جانبي البحر في طريق عودته.(17)

3 ـ تحمس نوفل بن عبد مناف الاخ الاصغر للخروج إلى العراق وفارس فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب بالحيرة والبطائح بين العراقين.(18)

لم يقتصر الإيلاف على حكومات الشام واليمن والعراق بل شمل أيضاً عقد المحالفات مع رؤساء القبائل القاطنة على الطرق التجارية، فموافقة سادات القبائل التي تمر قوافل قريش بأرضها، هو الاهم لتامين تجارتها وعن هذه التحالفات ويروي عن ذلك: "وشرك في تجارته رؤوساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن نحو العبادلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم ربحاً فيما يربح وساق لهم إبلاً مع إبله فكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك... وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها"، ولعل السبب بأن أخذ الإيلاف من رؤساء القبائل يرجع لسببين أولهما: أن ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم، والسبب الثاني: أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا للشهر الحرام قدراً وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له. فانقطع ذلك كله بالايلاف(19)

جعل الايلاف للقريشيين مكانتهم الموموقة بين تلك القبائل المحيطة بهم وبهذا انتشرت تجاراتهم الي العراق والشام واليمن والحبشة، واصبح العرب تجارا معروفين لدي الجميع ونالت لقريش مكانة متميزة لدى الحكام الذين تعاقدوا معهم فضمنوا لهم معاملة خاصة وحماية لتجارتهم وقوافلهم في أراضيهم، (20)

ثانياً ـ تحالفات قريش مع القبائل

نجحت قريش في عقد الأحلاف الإقتصادية بل والسياسية مع مجموعة من القبائل العربية، من أجل إنجاح نشاطها الإقتصادي، وقد إتخذت تلك الأحلاف مسميات متعددة ، وهي:

1 ـ الحمس:

وهو بضم الحاء وهناك ثمة اختلاف حول معنى كلمة الحمس، فقيل أنهم سموا بالحمس لتشددهم في دينهم وكانوا شجعان العرب لا يطاقون، وقيل: سموا بذلك لألتجائهم بالحمساء وهي الكعبة . ويروي ان : " قريش إبتدعت أمر الحمس رأياً رأوه وأداروه بينهم فقالوا: نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وسكانها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا"، ويذكر الأزرقي أن الحمس كان: "معروفاً عند قريش قبل الإسلام وقبل عهد قصي إلا أنه منحصر في قريش"، (21)

وهناك اختلاف حول القبائل التي اشتركت في الحمس مع قريش فثمة راي قال الحمس هم: "قريش، وكنانة، وخزاعة، ومن ولدته قريش من سائر العرب"، وقبائل الحمس عند اخرين هم: "قريش، وكنانة، وخزاعة، وبن عامر بن صعصعة كلهم إلا بكر بن عبد مناف، ومن ولدت قريش من أفناء العرب"، وقال الأزرقي : " فالحمس قريش، وكل من ولدته من العرب، وكنانة، وخزاعة، والآوس والخزرج، وجشم، وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأزد شنوءة، وجذم، وبنو ذكوان من بني سليم، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان، والغوث، وعدوان، وقضاعة". (22)

وكان من مذهب الحمس أنهم تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وهم يعلمون ويقرون أنها من المشاعر ودين ابراهيم (عليه السلام) وانه ينبغي لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا أن نعظم غيرها كما نعظمها، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم(23) .

؛ ولكن قريشاً زادت في الحمس وأدخلت فيه أموراً لم تكن قبل ذلك فحددوا مامسموح من المأكل والملبس فقالوا: " ماينبغي للحمس ان يأقطوا الاقط ولايسلأوا السمن وهم حرم ولايدخلوا بيوتاً من شعر ولايستظلوا إن إستظلوا إلا في بيوت الأدم ماكانوا حرماً، ثم رفعوا في ذلك فقالوا: ما ينبغي لأهل الحل ان

يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في الحرم إذا جاؤا حجاجاً أو عماراً ولا أن يطوفوا بالبيت إذا جاؤا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو أمرأة ولم يجد ثياب الحمس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً، فكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى(24).

، والزموا الحجاج والعرب بذلك "، فدانت به فوقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك فكان أهل الحل يأتون حجاجاً أو عماراً فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التي جاؤا بها وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثياباً من ثياب الحمس أما عارية وأما بأجارة فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ". (25)

نشا الحمس نتيجة لضيق عيشهم في واد غير ذي زرع ولا شيء عندهم سوى البيت وتجارتهم التي يقتاتون منها وثمة من يروي "وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس وتشددوا في الدين، فتركوا الغزو ولم تبق مكسبة سوى التجارة "، وذكر ايضا أن قريشاً : " كانت لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم بسوق عكاظ وذي المجاز في الأشهر الحرم، ولا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها، للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والألف لبيتهم(26).

خطت قريش هذه الخطوة لتصريف بضائعها وتنشيط سوق مكة أيام الحج ففرضت على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم وأن يخلو ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم أما شراء وأما إجارة وأما هبة، فهذه الشروط حققت لقريش منافع إقتصادية فعلى الحجاج من غير الحمس أن يبتاعوا ثياباً من تجار قريش والذي يؤدي بدوره إلى زيادة التوجه نحو شراء الثياب الخاصة بالحمس، ومن ناحية ثانية فعلى الرغم من وجود الرفادة التي خصصتها قريش للحج إلا أنه قد لا تسد حاجة الأعداد الكبيرة من الحجاج فضلاً عن وجود القادرين الذين يضطرون إلى شراء الطعام من تجار قريش فتزدهر تجارتهم (27)

2- الفضول:

سمي بذلك : "لأنه خرج من حلف المطيبين والأحلاف (لعقة الدم)، فكان فضلاً بينهما وربما سمي (حلف الفضول) لأن قريشاً لما سمعت بما تحالفوا عليه قالوا: هذه والله الفضول وخرجوا من مكانهم حتى تحالفوا فإنطلقوا إلى العاص بن وائل فقالوا، والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحداً أحداً بمكة إلا أخذوه له"، وقال آخر سمي حلف الفضول: "لأنهم تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً بظلمه أحداً إلا أخذوه منه"، وقيل إنما سمي حلف الفضول لأن كانت قد سبقت قريش إلى مثل هذا الحلف، فتحالف منهم ثلاثة رجال ومن تبعهم هم (الفضل بن قضاعة، والفضل بن حشاعة، وفضيل بن بضاعة)، فلما تحالفت قريش بما يشبه بحلف هؤلاء الجرهميين سمي بحلف الفضول، وقيل سميت قريش حلفهم الفضول لما فيه من الشرف والفضل.(28)

عقد هذا الحلف بعد عام الفيل بعشرين سنة وشهده الرسول (صلي الله عليه وسلم) بمكة وذكره بخير فيما بعد و كانت حرب الفجار في شوال وعقد الحلف في ذي القعدة، . ومن اهم القبائل التي دعت لعقد هذا الحلف بين (بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة) ، زاد عليهم البعض في رواية اخريبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي، وبنو عبد الدار)، وكان راي كبار الشيوخ من قريش من بني هاشم وزهرة وتيم انه لم يكن بيننا حلف قط حتى كان هذا الحلف.(29)

دعا الزبير بن عبد المطلب بن هاشم الي هذا الحلف وهو اول من تكلم به وقصة ذلك ان الرجل من العرب أو غيرها من العجم ممن كان يقدم بالتجارة ربما ظلم بمكه، وكان الذي تسبب في ذلك واقعة مشهورة بطلها رجلٌ من بني زبيد قدم بسلعة فباعها الي العاص بن وائل السهمي فظلمه ثمنها فناشده الزبيدي في حقه فلم يعطه فأتى الزبيدي القبائل امثال: بنو عبد الدار، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم، بنو عدي طالبا ان يساعدوه في استرداد حقه المسلوب فأبو أن يعينوه وزجروه، فلما رأى الزبيدي منهم ذلك صعد فوق جبل أبي قبيس قبل طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فاستصرخهم لنجدته ورد حقه المسلوب.(30)

وتصدي الزبير بن عبد المطلب للامر قائلا: ما لهذا منزل، فإجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة، وفي التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وعرف بين الناس بذلك.(31)

فتحالفوا بينهم ألا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريف أو وضيع منا أو من غيرنا، وقد حظي هذا الحلف بالرضا والقبول من رسول الله (ρ) إذ كان ممن حضره ودخل فيه وعنه قال: لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أني نقضته وإن لي حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت. (31)

ويروي ان أن رجلاً قدم من ثمالة إلى مكة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب الجمحي فمطله حقه فأتى إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا له اذهب إليه فأخبره إنك أتيتنا فإن إعطاك حقك وإلا فإرجع إلينا فأتاه فقال له إني قد أتيت حلف الفضول فأمروني أن أرجع إليك فأخبرك إني قد أتيتهم وقد رجعت إليك فما تقول ؟ فأخرج أبي حقه فأعطاه إليه وثمة رواية أخرىأن رجلاً تاجراً قدم من خثعم إلى مكة فعلقت إبنة له من قبل نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم فإشتكى إلى حلف الفضول فذهبوا إليه فقالوا: أخرج إبنة هذا الرجل فأخرجها وأعطوها أباها وبذلك اصبح حلف الفضول بمثابة القوة الدفاعية عن مكة لمن دخلها من اغراب التجار؛ (32)

3-الأحابيش:

حلف الأحابيش هو أول أحلاف مكة في الجاهلية قبل الإسلام، وانعقد في زمن عبد مناف بن قصي الجد الثالث للنبي محمد.(صلي الله عليه وسلم) وعقدت حلف الأحابيش عدد من قبائل مكة وما حولها والتي تحالفت ضد بني بكر بن عبد مناة من قبيلةكنانة، وقد استمر هذا الحلف إلى ما بعد ظهور الإسلام.(33)

واشتق اللفظ من حبش وتعني جنس من السودان وهم الاحبش والحبشات، وهم ليسوا قبيله واحده بل هم مجموعة بطون اجتمعوا وكونوا تكتل قبلي أطلق عليه اسم الأحابيش، وهم عند بعض المؤرخين من قبيلة بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة، وكذلك قبيلة القارة بن الهون وهم عضل والديش وبطونها كلها، والحيا بن خزاعة، وبنو مالك بن كنانة وهم بأسفل مكة ، وهم عند اليعقوبي خزاعة وعضل وديش والقارة وهم بطون من الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة.(34)

والاصل في التسمية يعود الي انهم أن اجتمعوا وتحالفوا عند جبل أسفل مكة يقال له حبشي فسموا بذلك، ونزلوا في أطراف مكة مع قريش الظواهر ، وراي آخر بأنهم سموا بالأحابيش لتحالفهم بحبشي وهو مكان قريب من مكة من ناحية يقال لهاالرمضة.(35)

و عن سبب عقد الحلف قيل: انه " لما غلب قصي على مكة وغلبت قريش وكثرت وتفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد قلت قريش وخافت بكراً فبعث عبد مناف إلى الهون بن خزيمة والحارث بن عبد مناة فأجابوهم فبعث بنو الحارث إلى المصطلق والحيا فأجابوهم فأقبلت الهون يقودهم أبو ضرار بن مالك وأقبلت الحارث يقودها شيظن بن عمرو وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم... فتحالفوا بالله القائلين إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسي حبشي"، ويروي اخر ان" تحالف الأحابيش على الركن: يقوم رجل من قريش وآخر من الأحابيش، فيضعان أيديهما على الركن، فيحلفان بالله وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقد، وعلى التعاون وعلى من كادوهم من الناس جميعاً ، فسمي حلف الأحابيش ".(36)

انعقد حلف الأحابيش بعد إخراج قريش وكنانة وقضاعة لقبيلة خزاعة من مكة حين أسكن قصي قومه بني النضر بن كنانة مكة ومنع عنها بني بكر، فنقم بنو بكر عليه ذلك، فلما مات قصي ضَعُفت قريش وهان أمرها وكثرت اعتدءات بني بكر عليهم .

ثم نزل مكة رجل من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهم إخوة بني بكر، فباع سلعة له ثم أوى إلى إحدى دور بني مخزوم من قريش فخرجت له امرأة منهم وقالت له: "هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ تركتنا بنو بكر نعاماً ذا مثل حماد أنا أن نترك في حرمنا".(37)

فخرج الحارثي الكناني حتى أتي قومه فقال: "يا بني الحارث! ذلت قريش لبني بكر فإن كان عندكم نصر فنصر"، فقالوا: " ادعوا إخوانكم بني المصطلق والحيا" وهما قبيلتان من خزاعة فركبوا إليهم

وجاؤوا بهم ، فسمعت بهم بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم، وذلك بعد خروج بني أسد بن خزيمة من تهامة إلى نجد فاجتمعوا بأسفل **جبل حُبشِي** وهو جبل بأسفل مكة وقيل بل تحالفوا عند **وادي الأحبش** أسفل مكة، وقالوا: " إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبشي مكانه." (38)

ويروى أن عبد مناف بن قصي بعث في طلب الحلف لبني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وزوج ابنته ريطة بنت عبد مناف من عامر بن عوف الحارثي الكناني،وقيل تزوجها معيط بن عامر بن عوف ،وفي ذلك يقول حذافة بن غانم العدوي القرشي :

من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو بكر وأنكح عوفا بنته ليجيرنا

وفي عقد الحلف يقول غالب بن ييثع من بني الهون:

بيننا يقعدان للأحلاف بات شحب وبات عبد مناف

وهناك راي اخر من عقد هذا الحلف تقول : "أن رجلاً من بني الحارث عبد مناة بن كنانة هبط مكة فباع سلعة له ثم أوى إلى دار من دور بني مخزوم فإستسقى فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال: هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ فقالت: تركتنا بنو بكر نعاماً... فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يا بني الحارث ذلت قريش لبني بكر، فإن عندكم نصر فنصر، فقالوا: ادعوا إخوانكم بني المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو، فركبوا إليهم فجاؤا بهم وسمعت بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم ذلك بعد خروج بني أسد من تهامة ".(39)

ارتبط الاحابيش مع قريش بهذا الحلف لاسباب عديدة فمنها كان كلاً من الطرفان بحاجة اليها، فاهل مكة كانوا في حاجة الى الحلف لحماية تجارتهم وطرق مواصلاتها ومنع اللصوص وقطاع الطرق والتقوي بحليف قوي يدعمهم بين القبائل الطامحة في مكانة قريش ومكة بين العرب فالأحابيش هي الانسب للدفاع عن مركز التجارة، بحكم سكنهم بمكة وحدث ان قتلت بنو بكر رجلاً من احياء مكه وهمت باخراجهم من الحرم فناصرت الاحابيش قريشا التي طالبت بني بكر بان تسلم لهم القاتل ورفضت بني بكر فكان القتال بين بني بكر من جهة والاحابيش وقريش حليفان حتى تم لهم النصر علي قبيلة بني بكر.(40)

ومن اسباب تكوين مثل هذا النوع من الاحلاف حاجتهم الشديدة لمال يدعم قوتهم والى الاستقرار ايضا ولاننسي العامل الديني فالاحابيش من قبائل كنانه وخزاعة وخزيمه، وكانت خزاعة مع قريش حمساً لنزولها في مكه ومجاورتها قريش، فتلك الرابطة التي وان كانت تبدو مظهرا دينياً الا ان باطنها يتعلق بالملبس والمأكل أي مايأكله ومايلبسه الحجاج في الموسم، باعتبار إن موسم الحج أهم موسم تجاري عند العرب وبما إن المأكل والملبس يحتاج إلى تجارة، والتجارة لا بد لها من حماية.(41)

انتصر الحليفان في يوم ذات نكيف ضد بني بكر من قبيلة كنانة قرب يلملم وشارك الأحابيش كذلك في حرب الفجار ضمن قومهم كنانة ضد قيس عيلان. ومن ساداتهم في الجاهلية المطلب بن عبد مناف من قريش وحطمط بن سعد أبو حارثة والحبيش بن عمرو من بني الحارث بن عبد مناة، ومن ساداتهم في عصر النبي محمد ابن الدغنة من بني القارة من الهون بن خزيمة وهو الذي أجار أبا بكر الصديق بمكة ومنعه من الهجرة للحبشة، وكذلك الحليس بن علقمة الكناني الذي خرج يفاوض النبي محمد قبل صلح الحديبية فلما رأى الهدي مع المسلمين رجع لقريش ولم يكلم النبي محمد فأخبرهم بما رأى، فقالوا له: "اجلس، فإنَّما أنت أعرابيٌّ لا علمَ لك"، فغضب منهم وقال: "يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيُصَدُّ عن بيت الله من جاء معظِّماً له؟ والذي نفس الحليس بيده، لَتَخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجلٍ واحد"، فقالوا له: "مه، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به".(41)

و شارك الأحابيش بعد الإسلام في غزوات أحد والخندق مع قريش ضد المسلمين، ومنهم عمرة الحارثية التي حملت لواء جيش مكة في غزوة أحد، وهي التي قصدها حسان بن ثابت في قوله:

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بالثمن الكسر(42)

4 - المطيبين:

هو حلف بين عدد من أفخاذ قبيلة قريش قبل الإسلام لإعانة بني عبد مناف بن قصي في أخذ ما أورثه قصي بن كلاب لبني عبد الدار بن قصي.(43)

وتفصيل الامر انه نشب خلاف حاد بين بني عبد مناف وبني عبد الدارإبني قصي بن كلاب، وكان سببه حول ميراث قصي بن كلاب الذي يعد أول رجل أصاب ملكاً وأطاع له قومه وأول من اعلي من شان قريش بمكة مكة بعد أن استنقذ مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب شديدة لقد عمل قصي بن كلاب جاهداً على إيجاد وظائف في مكة فإبتنى دار الندوة ففيها كانت تكون أمور قريش فيما ينوبهم وفيما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة،(44) .

وفيها قال المؤرخون: "وهي دار قصي بن كلاب بمكة... فكان قصي لا يقضي أمراً إلا فيها ولا تخرج تجارة إلا منها كانت جميعها بيده هي الحجابة، والسقاية ، والرفادة واللواء فلما كبر قصي جعل هذه الوظائف الخمس لعبد الدار وكان أكبر ولده وكان ضعيفاً مسناً فخصه بذلك ليلحقه بأخوته وذكر الأزرقي بأنه قسم أمور مكه بين إبنيه عبد الدار وعبد مناف فكانت لعبد الدار الحجابة والندوة واللواء بينما اصبحت لعبد مناف السقاية والرفادة وروي اخرون أن قصي بن كلاب قسم الوظائف بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى ومنهم من يروي: "كان قصي شديد الحب لعبد الدار وكان عبدالدار ذو علة فجعل له بعده دار الندوة، والحجابه، واللواء، والرفادة، والسقاية ".(45)

انفذ أبناء قصي رغبة أبيهم بما آثر به ابنه الاكبر عبد الدار عليهم، فلم ينازعوه مكانه طوال حياته، على الرغم من أنهم يتقدمون عليه بالشرف وذكر بعضهم انه ربما المقصود بالشرف الغنى والنفوذ، إلا إن الصراع دب بين أحفاد قصي من أجل توزيع هذه الوظائف وإستئثار بني عبد الدار بها دون سائر أحفاد قصي وقد روى بعضهم قائلاً: "لما بنيت الكعبة جزأوها أربعة أجزاء فصار لبني عبد مناف ما بين الحجر الأسود إلى ركن الحجر فناء البيت أجمع، وصار لأسد وبني عبد الدار وزهرة الحجر كله وصار لمخزوم وتيم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود، فلما بنوه وفرغوا منه تنافسوا في من يرفعه فقالت بنو عبد مناف هو حيزنا وقالت قريش ليس الركن مما إقتسمنا وأرادوا فيه الشر حتى حكموا أول من يطلع عليهم من قريش من باب السيل فطلع عليهم رسول الله (ρ) فحكموه فأخذ ردائه فوضعه ثم رفع الحجر بيده وقال لكل ربع: خذوا بطرف من أطراف الثوب فرفعوه جميعاً ثم دخل رسول الله (ρ) تحت الحجر فبناه بيده فلما فرغوا من البنيان وعمروا البيت والسقاية قالت بنو عبد مناف بيد إخواننا عبد الدار الرفادة واللواء والندوة والحجابة وليس بأيدينا إلا السقاية، فقالوا لهم هلم أعطونا بعض ما في أيديكم، فقال بنو عبد الدار: لا نعطيكم ما ورثناه عن أبينا وجدنا... ".(46)

تجهزت كل قبيلة للقتال فتجهزت بنو عبد عبد مناف لبني سهم، وبنو عبد الدار لبني أسد، وبني مخزوم لبني تيم، وبنو جمح لبني زهرة، وبنو عدي بن كعب لبني الحارث بن فهر غير أن الحرب لم تضع أوزارها؛ إذ أنهم تداعوا للصلح على أن تعطي بنو عبد مناف السقاية وبنو أسد الرفادة وتركت الحجابة والندوة واللواء لبني عبد الدار، ثم جرى بين القوم الشر حتى كادوا يقتتلون فصارت الحجابة واللواء لبني عبد الدار، وصارت الندوة لبني عبد مناف، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك فقال رسول الله (ρ) ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة.(47)

واخذت أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم جفنة عظيمة فملأتها خلوقاً ثم أقبلت بها تحملها حتى وضعتها في الحجر فقالت: من تطيب من هذه الجفنة فهو منا فقامت أسد فتطيبت وقامت الحارث بن فهر فتطيبت وتطيبت زهرة بن كلاب وتيم بن مرة، فهذه خمس قبائل يسمون المطيبين (عبد مناف، وأسد بن عبد العزى، وزهرة، والحارث بن فهر، وتيم بن مرة)، وتعمد بنو سهم فنحروا جزوراً ثم غمسوا أيديهم في دمها وقالوا من غمس يده فيه فهو منا فغمست جمح وسهم وعبد الدار ومخزوم وعدي بن كعب ثم دخلوا البيت وتحالفوا بالله أن لا يسلم أحدٌ منا أحداً فسموا الأحلاف وهم خمس قبائل (عبد الدار، وسهم، وجمح، ومخزوم، وعدي بن كعب).(48)

وبهذا يكون السبب الحقيق لحلف المطيبين ثمة نزاع اداري مالي نشب بين الورثة ولم ينته بشكل سلمي فنشب حول وظائف مكة الإدارية (الندوة، الحجابة، السقاية، الرفادة)،

أ -دار الندوة :

لا يقضى أمراً إلا فيها ولا تخرج تجارة إلا منها وكانت قريش قد فرضت ضريبة العشر على كل من يدخل مكة من غير قريش،(49)

ب -الحجابة :

نالت مكانة هامة جداً نظراً لمركز الكعبة عند العرب ولأن البيت الحرام هو الذي أعطى لمكة قدسيتها ومكانتها وكان بجانب هؤلاء الحجاب أو ما يعرف بالسدنة كهان كانوا يدّعون معرفة الغيب واضفي وجود هؤلاء الكهنة في الكعبة قدسية الكعبة نفسها ويجعل ما يتنبئون به يلقى تصديقاً أكثر من الآخرين،(50))

ج- السقاية :

ساعدت على إستقطاب الحجاج إلى مكة خصوصاً وإن مكة بلد فيه المياه شحيحة، (138)، ، فقد حفرت قريش آباراً كثيرة بلغت أكثر من عشرة آبار وقد جعلت هذه الآبار لعامة الناس، ولأصحاب القوافل التجارية.

د- الرفادة :

شكل إعداد الطعام للحجاج دافعاً لهم للقدوم إلى مكة حيث كان الحجاج الذين يفدون إلى مكة من الأماكن البعيدة يجدون مشقة في حمل المؤن والزاد عن طريق الصحراء، لذلك فإن ، وقد يرافق الرفادة شراء الطعام من تجار قريش من قبل الحجاج الذين يظنون إن طعام الرفادة للفقراء والمعدمين من الحجاج.(51)

5-حلف الأحلاف لعقة الدم :

هو حلف بين عدد من أفخاذ وبطون قبيلة قريش قبل الإسلام، وقد عقدته بعض أفخاذ قريش لدعم بني عبد الدار بن قصي في نزاعهم ضد بني عبد مناف بن قصي. ولم يدرك النبي محمد هذا الحلف.(52)

أراد بنو عبد مناف أخذ ما منحه قصي لإخوتهم بني عبد الدار وبنيه من الحجابة و السقاية و الرفادة و اللواء و الندوة وجمعوا لذلك من حالفهم في حلف المطيبين.

فسار بنو عبد الدار وسيدهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار إلى بني سهم فقالوا لهم: "امنعونا من بني عبد مناف"، فلما سمع بهم بنو عبد مناف عقدوا حلف المطيبين، فذبح بنو سهم بقرةً وقالوا : "من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا" ودخلت معهم عشائر هذا الحلف. وتعاهدوا عند الكعبة حلفا مؤكدا، على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا، فسموا الأحلاف، وقالوا : "قد أعتدنا لكل قبيلة قبيلة."(53)

وفي المقابل جمعت لهم بنو عبد مناف ومن حالفها في حلف المطيبين .وعبأت كل قبيلة، فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم، وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار، وعبيت زهرة لبني جمح، وعبيت بنو تيم لبني مخزوم، وعبيت بنو الحارث بن فهر لبني عدى بن كعب. ثم قالوا: "لتفن كل قبيلة من أسند إليها". وجمعوا للحرب ثم تداعوا إلى الصلح، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت. ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى ظهر الإسلام.(54)

6- بنو سليم:

تنسب إلى سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام.

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الأسدي سنة 322هـ -: سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر، وسليم شعب لا قبيلة، لأنه خرج منه عدة قبائل وعمائر وبطون وأفخاذ.(55)

قال الحمداني -: وهم أكثر قبائل قيس عدداً، وفيهم الأبطال الأنجاد، والخيل الجياد.

قال ابن خلدون -: وأما بني سليم هؤلاء فبطن متسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم جموعاً، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس، وفيهم شعوب كثيرة.(56)

وعنهم قال النبي محمد في حديث صحيح شهير» :أنا ابن العواتك من سليم«، والعواتك هُن ثلاث نساء من جدات النبي محمد جميعن يحملن اسم عاتكة ومن قبيلة بني سليم.

وأولهن هيّ عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تزوجها سيد قريش قصي بن كلاب فأنجبت له عبد مناف جد قبيلتي بني أمية وبني هاشم.
وابنها عبد مناف تزوج ابنة خاله عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فأنجبت له سيد قريش هاشم بن عبد منافجد آل البيت بني هاشم.(57)
وعاتكة الثالثة ابنة أخ عاتكة الثانية وحفيدة أخ عاتكة الأولى هيّ عاتكة بنت الأقوص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، تزوجها عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي سيد بني زهرة وابن أخ قصي بن كلاب جد النبي وزوج عاتكة الأولى، فأنجبت عاتكة الثالثة لعبد مناف بن زهرة وهب بن عبد مناف والد آمنة بنت وهب أم النبي محمد.(58)

توطنت القبيلة الحجاز قبيل الإسلام وامتدت دورهم من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي يثرب إلى الجبلين إلى الحرة وساهم موقع قبيلة سليم على طريق الشام في إقامة علاقات ودية مع قريش حيث تحالف معهم أشراف مكة وكبارها ممن لهم علاقات تجارة مع افراد هذه القبيلة و ويعتبر أول حلف دخل مكة ما تحالف به حارثة بن الأوقص السلمي و كان رجلاً متعبداً وكان له بيتاً فيه صنم لهم (بني سليم) فقيل له أن بيتاً بمكة يتعبد له وأهله وكل من جاء من العرب فقيل له: إنك لا تستطيع أن تقيم به إلا أن تحالف أهلها فقدم مكة فحالف قريشا حين قدم مكة مع أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كما تحالفت هذه القبيلة مع بني هاشموعمل عدد من رجالها لدي قريش كادلاء للقوافل التجارية وازدهرت العلاقات التجارية بين الحليفين وقامت شراكات تجارية بين أغنياء قريش ورجال بني سليم للتنقيب في المناجم الواقعة في ديار بني سليم.(59)

7 ـ ثقيف:

نسبت ثقيف الي ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن' وقيل لن إسم ثقيف هو قيس، وارجعها البعض الي العرب البائدة فقيل أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وارجعها اخرون الي انهم من إياد بن نزار بن مضر، سكنت هذه القبيلة الطائف، والطائف هو وادي وج وهو بلاد ثقيف، وتحف بالطائف وديان كثيره تسيل فيها المياه في موسم الامطار، وحولها عيون وآبار كثيره كانت ذات مزارع ونخيل وأعناب وسائر الفواكه رغبت قريش في محالفة ثقيف لأن مكة في وادً غير ذي زرع والطائف منطقة زراعية، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها.(60)

فلما تكاثرت قريشا رغبت في الانتفاع والاستثمار ب (وادي وج) الطائف فقالت لثقيف :نشرككم في الحرم وأشركونا في وج فقالت ثقيف كيف نشرككم في وادي نزله أبونا وحفره بيده في الصخر فردت عليهم ثقيف وأنتم لم تجعلوا الحرم وإنما جعله ابراهيم (عليه السلام) فقالت قريش لا تدخلوا حرمنا علينا ولا ندخل عليكم وجكم فلما خشوا الحرب وخشيت ثقيف من خزاعة وبني بكر بن عبد مناة حالفت قريشاً ودعت إخوتها من دوس.(61)

وطلبت قريش من دوس نفس الطلب من ثقيف فاجابت ثقيف: بل دوس تحالفكم، فركب عبد ياليل بن معتب ومسعود بن عمرو وهما من ثقيف ثم من الأحلاف في نفر حتى أتو دوساً فقالوا لهم: إن قريشاً طلبت منا أن ندخلهم في وج وأن يدخلونا في الحرم فأبينا ذلك عليهم ثم حالفناهم فرغبوا إلى ما عندكم فأدخلوهم وليدخلوكم وحالفوهم فحالفت دوس قريشاً، الذين حالفوا في قريش من دوس هم بنو سلامان بن مفرج وبنو منهب وبنو مالك وعامة نبيش.وتم الاتفاق على دفع نصيب معين من الغلة وكان أهل الحجاز يكرون أرضهم يكرونها بالثلث والربع والخمس وأقل وأكثر من محصولاتهم وما تغله اراضيهم.(61)

8 ـ خزاعة:

من امهات القبائل في الجزيرة العربية وهي قبيلة ازدية قحطانية.
يعود نسب خزاعه إلى: عمر بن عامر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. وقد اجمع النسابون بأن سبأ هو : سبأ بن يشجب بن يعرب بن

قحطان بن هود النبي عليه السلام بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن أدم عليه السلام.(62)

اختلف المؤرخون حول قبيلة خزاعة فيري بعضهم انها من العدنانيين ونسبوها الي : " بنو خزاعة بن لحي بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"، وجعلهم اخرون من القحطانيين ونسبهم الي: "هم أبناء عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها". جاءت هذه القبيلة من اليمن إلى مكة بعد تهدم سد مأرب ونزلوا حول مكة وعرفوا فيما بعد بإسم خزاعة لأنهم تخلفوا وإنقطعوا عن قومهم، وقيل إن هذه القبيلة نزلت بمر الظهران، وقيل نزلت بتهامة.(63)

تولوا ولاية البيت بعد أن أخرجت قبيلة جرهم من الحرم الذين طغوا وفسقوا بالحرم، وظلت ولاية البيت وأمر مكة لفترة خمسة قرون وكان آخرهم حُليل بن حُبشيَّة بن سلول الخزاعي. اراد قصي بن كلاب على استنقاذ مكة وولاية البيت من خزاعة فخاض حرب شديدة، واستمرت العلاقات بين قريش وخزاعة حتي بعدما خرجت خزاعة من الحرم وحلت قريش .ولم يرغب قصي بن كلاب ان تستمر الصلات عدائية فعمد إلى المصاهرة معهم فتزوج قصي من حُبي بنت حُليل بن حُبشيَّه سيد خزاعة فتوطدت بذلك الاواصر بين الجانبين، (64)

اراد نفر من خزاعة توطيد علاقتهم بقريش فقالوا فيما بينهم: والله ما رأينا في هذا الوادى أحسن وجهاً ولا أتم خلقاً ولا أعظم حلماً من عبد المطلب وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله، وقد ولدناه كما ولده بنو النجار فلو إنا بذلنا له نصرتنا وحالفناه.(65)

ونما الي علمهم بان عبد المطلب قد اغتصب له مال وان اخواله نصروه لاعادة المال اليه وخزاعة قالت انهم اخواله ايضا فلا بد من نصره لرد حقوقه المالية ونفعه والانتفاع به وبقومه. فارسلوا وفدا منهم اليه، فقالوا: " يا أبا الحارث إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك فهلم فلنحالفك فأجابهم فأقبل بديل أبو ورقاء بن بديل العدوي، وسفيان بن عمرو، وأبو بشر القميري، وهاجر بن عمير بن عبد العزى القميري، وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر، وعبدالعزى بن قطن المصطلقي، وخلف بن أسعد الملحي، وعمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري في جماعة من قومهم فدخلوا في دار الندوة فكتبوا بينهم كتاباً بذلك.(66)

واتاهم عبدالمطلب في سبعة نفر من بني المطلب، والارقم بن نضله بن هاشم وكان من رجال قريش، والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم، ولم يحضره احد من بني عبد شمس ولا نوفل. وعلقوا الكتاب في الكعبة. وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهره بن كلاب، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره.(67)

وقد نص الكتاب "هذا ماتحالف عليه عبدالمطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من اسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفا جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا ماشرقت الشمس على ثبير، وما حن بفلاة بعير، وما قام الاخشبان وما عمر بمكة انسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً وظلم الليل مداً. (68)

عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو، فصاروا يداً دون بني النضر فعلى عبدالمطلب النصره ولهم على كل طالب وتر في براً أو بحراً أو سهل أو وعر، وعلى بني عمرو النصره لعبد المطلب وولده على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى بالله حميلاً "واضاف اخرون "وان عبدالمطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر من كنانه، ورجال خزاعة متكافئون، متضافرون، متعاونون... ". وعلقت هذه المعاهده في جوف الكعبة.(69)

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة للتحالفات التجارية والسياسية لقريش امكننا التوصل إلى النتائج الآتية:

* عقدت الاحلاف بين قريش وحلفائها العرب وغير العرب لظروف خاصة فهي وادٍ غير ذي زرع، و مما دعا الي اقتصار نشاط أهلها بالتجارة، لذلك عقدت الأحلاف لضمان وصول ما يحتاجه اهل مكة من سلع ومئونة من خارجها اليها.
* انحصرت قريش في مكة و بعقد الإيلاف جاب تجار قريش البلاد وتحولوا من وسيط تجاري إلى تجار يشار اليهم بالبنان بين الامم و أصبحت قريش ممسكة بزمام التجارة في بلاد العرب قاطبة وصارت لاسواقها الشهرة الاعظم.
* عقدت قريش مع سادات ورؤساء القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم التحالفات التي تمهد لتلك القوافل المرور بأراضيهم، وخمت تجارتها وزودتهم بادلاء ماهرين وجنت خيرات الطريق من ادلاء وتعدين وتجارة وافرة وتاجرت لواحات الطريق.
*عرف عرب ما قبل الإسلام نظام المزارعة وتعاملوا بها واستكملوا ما ينقصهم في ديارهم.

الهوامش

١. (1) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت، 175 هـ/ 791 م): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط 2، (مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة، 1409 ه)، ج3، ص331 - 332. وانظر كذلك الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت، 393 هـ/ 1002 م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، (دار العلم للملايين، بيروت، 1987 م)، ج4، ص1346.

٢. (2) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت، 711 هـ/ 1331 م): لسان العرب، ط1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405 ه)، ج9، ص53.

٣. (3) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت، 606 هـ/ 1209 م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: أبو عبد الرحمة صلاح بن محمد بن عويضة، ط 1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م)، ج1، ص407

٤. (4) ابن سيدة، علي بن اسماعيل (ت، 458 هـ/ 1065 م): المخصص، تحقيق، خليل ابراهيم جفال، ط1، (دار احياء التراث العربي، بيروت، 1996 م)، ج4، ص70.

٥. (5) ابن الفوطي، كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين الشيباني (ت، 723 هـ/ 1323 م): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، (د مط، دمشق، 1963 م)، ج4، ص585.

٦. (6) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري (ت، 218 هـ/ 833 م): السيرة النبوية، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط2، (دار صادر، بيروت، 2005 م)، ج1، ص83.

٧. (7) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت، 502 هـ/ 1108 م): المفردات في غريب القرآن، ط1، (دفتر نشر الكتاب، قم المقدسة، 1404 ه)، ص129.

٨. (8)ابن سيدة: المخصص، ج4، ص71.

٩. (9) سورة قريش: آية رقم (1 - 4)

١٠. (10)جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار العلم للملايين، بيروت، 1969 م)، ج4، ص 372، 375.

١١. (11) محمد بن يسار المطلبي (ت، 151 هـ/ 768 م): السيرة النبوية، تحقيق: احمد فريد المزيدي، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م)، ج1، ص68؛ وينظر -

١٢. (12) ؛ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، 250 هـ/ 864 م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط3، (دار الأندلس، بيروت، 1983 م)، ج1، ص108؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد 292 هـ/ 904 م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، ط 1، (دار الزهراء، قم المقدسة، 1387 ه)، ج1، ص199.

١٣. (13) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص29؛

١٤. (14) الروض الأنف، ج1، ص239.

١٥. (15) ابن هشام: السيرة، ج1، ص103؛

١٦. (16) ابن هشام: السيرة، ج1، ص90 - 91

١٧. (17) ؛ الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص108.

١٨. (18) ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص68.

١٩. (19) ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص73، ص74؛ ؛

٢٠. (20) ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، 230 هـ/ 844 م): الطبقات الكبرى، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، ط 1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996 م)، ج 1، ص30.

٢١. (21) أخبار مكة، ج1، ص108 - 109.

٢٢. (22) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عثمان (ت، 255 هـ/ 868 م): الرسائل، تحقيق: علي بو ملحم، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010 م)، ص 401؛ السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص34.
٢٣. (23) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص200.
٢٤. (24) السيرة، ج1، ص82.
٢٥. (25) الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت، 236 هـ/ 850 م): نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، ط2، (د. مط، مصر، 1976 م)، ص12.
٢٦. (26) الطريحي، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي (ت، 1085 هـ/ 1674 م): مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط2، (د. مط، طهران، 1408 ه)، ج1، ص90.
٢٧. (27) ابن هشام: السيرة، ج1، ص82؛ ابن حبيب: المنمق، ص21.
٢٨. (28) ابن الأثير: النهاية، ج1، ص62؛
٢٩. (29) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت، 460 هـ/ 1067 م): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط 1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1409 ه)، ج10، ص412.
٣٠. (30) ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 55 - 56.
٣١. (31) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت، 279 هـ/ 892 م): أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط1، (مؤسسة الأعلمي بيروت، 1394 ه)، ج1، ص 66.
٣٢. (32)الروض الانف، ج1، ص 162.
٣٣. (33). أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت، 429 هـ/ 1037م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط 1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2005 م)، ج1، ص115
٣٤. (34) الطوسي: التبيان، ج10، ص412.
٣٥. (35) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت، 671 هـ/ 1272 م): الجامع لأحكام القرآن، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م)، ج20، ص201.
٣٦. (36) محمد بن جرير (ت، 310 هـ/ 922 م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار، (دار الفكر، بيروت، 1415 ه)، ج30، ص393.
٣٧. (37) ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص74؛ ابن هشام: السيرة، ج1، ص92؛
٣٨. (38) أخبارمكة، ج1، ص177.
٣٩. (39) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت، 538 هـ/ 1143 م): الفايق في غريب الحديث، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 ه)، ج1، ص49
٤٠. (40) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص13
٤١. (41) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت، 656 هـ/ 1257 م): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 2005 م)، ج15، ص210
٤٢. (42) البلاذري عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت، 739 هـ/ 1338 م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط 1، (دار الجيل، بيروت، 1992 م)، ج1، ص383. ي، انساب الاشراف، ج1، ص 59.
٤٣. (43) الثعالبي: ثمار القلوب، ج1، ص139.
٤٤. (44) ابن سعد: الطبقات، ج1، ص30
٤٥. (45) ابن الأثير: النهاية، ج1، ص141
٤٦. (46) الازرقي:أخبار مكه، ج1، ص 121
٤٧. (47) الحموي: معجم البلدان، ج3، ص39.
٤٨. (48) ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص 114
٤٩. (49) الطريحي : مرجع سابق ،ص191

٥٠. (50) ابن اسحاق: نفس المرجع ،ص211
٥١. (51) ابن سعد : المرجع السابق،ص63
٥٢. (52) البلاذري:المرجع السابق،ص86
٥٣. (53)الثعالبي: ثمار القلوب، ج1، ص115.
٥٤. (54) الفراهيدي: العين، ج3، ص154.
٥٥. (55) الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يوسف (ت، 817 هـ/ 1414 هـ): القاموس المحيط، (دار العلم، بيروت، د. ت)، ج2، ص208.
٥٦. (56)ابن سعد، ص127.
٥٧. (57) ابن اسحق،ص219
٥٨. (58) الازرقي،ص141
٥٩. (59)ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 152.
٦٠. (60) الطبقات، ج1، ص32.
٦١. (61) ابن هشام،ص155
٦٢. (62) الازرقي، ج1، ص180.
٦٣. (63). ابن هشام ،ص159
٦٤. (64) ابن هشام: السيرة، ج1، ص161.
٦٥. (65) الثعالبي: ثمار القلوب، ج1، ص139
٦٦. (66) الازرقي،ص183
٦٧. (67) ابن اسحق،ص225
٦٨. (68) ابن سعد،ص152.
٦٩. (69) الثعالبي: ثمار القلوب، ص151.